

التحليل النفسي العلائقي في مجال علم النفس التطبيقي

Relational psychoanalysis in the field of applied psychology

د. مرزوقي عبد الحكيم^{1*}، أ.د. سعودي عبد الكريم²

¹ جامعة طاهري محمد-بشار (الجزائر)، merzougui.abdelhakimothmane@univ-bechar.dz

² جامعة طاهري محمد-بشار (الجزائر)، abdelkrim.saoudi@univ-bechar.dz

ORCID iD¹: 0009-0007-6360-75971

تاريخ النشر: 2025/12/27

تاريخ القبول: 2025/12/10

تاريخ الاستلام: 2025/01/26

ملخص: هدف بحثنا هذا المعنون بـ "التحليل النفسي العلائقي في مجال علم النفس التطبيقي" إلى التعرف على هذه المدرسة، وأسس نشأتها النظرية، ومدى علاقتها بالمدرسة التحليلية النفسية الكلاسيكية، وتطرقنا دور الجانب العلائقي في بناء هذه المدرسة، والدور الذي تلعبه العلاقة بين الذات والذات الآخر في بناء سياق تفاعلي علاجي، وأهم أسس الجانب العلاجي للمدرسة التحليلية النفسية في مجال علم النفس التطبيقي في مقارنة بينها وبين المدرسة التحليلية، كما ختمنا بحثنا بالتطرق إلى أهم الانتقادات والمآخذ التي يمكن أن تؤخذ على هذه المدرسة وآلياتها العملية والتي تجعلها مدرسة جديدة فعلا تختلف بشكل ملحوظ عن المدرسة النفسية التحليلية الكلاسيكية.

الكلمات المفتاحية: التحليل النفسي العلائقي، التحليل النفسي الكلاسيكي، العلاج النفسي، الذات والذات الآخر.

Abstract: Our research, entitled "Relational psychoanalysis in the field of applied psychology" aimed to identify this school, its theoretical foundations, and its relationship to the classical psychoanalytic school. We addressed the role of the relational aspect in building this school, the role played by the relationship between the self and the other self in building an interactive therapeutic context, and the most important foundations of the therapeutic aspect of the psychoanalytic school in the field of applied psychology in comparison with the analytical school. We concluded our research by addressing the most important criticisms and shortcomings that can be taken against this school and its practical mechanisms, which make it a truly new school that differs significantly from the classical psychoanalytic school.

Keywords: relational psychoanalysis, classical psychoanalysis, psychotherapy, the self and the others self.

مقدمة:

تعتبر مدرسة التحليل النفسي التفاعلي من بين أحدث المدارس النفسية في مجال علم النفس والعلاج النفسي، وكما تشير تسميتها فهي تتبع منهاجا تحليليا نفسيا خاصا يجعل من الجانب التفاعلي باباً محوريا في تأسيسها وتكوين حجر الأساس في ظهورها، غير أن الانتشار الواسع الذي حققته مدرسة التحليل النفسي الكلاسيكي منذ بدايات القرن العشرين، لا سيما مع إسهامات سيغموند فرويد، المؤسس والأب الروحي للمذهب التحليلي النفسي الأورثدوكسي، والمدارس التحليلية المنشقة عنه، في مقابل حداثة ظهور المدرسة التحليلية العلائقية، في ثمانينيات القرن الماضي، جعل هذا التوجه لا يزال في إطار الظهور باحتشام في أصقاع العالم مقارنة بالمدرسة التحليلية النفسية التقليدية، وإن كان ظهورها في مهد وطنها الأم، الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، وبريطانيا أيضا، قد سجل حضورا لافتا، إلا أنها مدرسة لا تزال بحاجة للتوسع والتعريف بها، وبمبادئها وإسهاماتها، في المجالين النظري والتطبيقي، لا سيما الشق العلاجي منه. ومن أجل ذلك كان من الضروري التطرق إلى فهم دواعي تأسيس هذا التوجه، وما الذي يميزه عن التوجه الكلاسيكي للتحليل النفسي، كما أن هذه المدرسة تدعو للتساؤل عن نتائج ظهورها في موطن انتعشت فيه المدرسة السلوكية بشكل أخص وهي الولايات المتحدة الأمريكية، بيد أن المدرسة التحليلية التقليدية أساسا كانت تأسس وانتعشا وانتشرا في أوروبا (ألمانيا، فرنسا، النمسا، سويسرا وغيرها)، خصوصا أن مصطلح علائقي ليس بالمصطلح الوارد أساسا في أبجديات ومعجم التحليل النفسي، وهو ما يطرح فرضية تحديث المذهب الفرويدي والتحليلي النفسي عموما، أم أن الأمر يتعلق بإنشاء مذهب جديد، أو قد يكون بديلا عن المذهب الموجود أصلا، إذ تبقى الفرضيتان قائمتان مع حلول مصطلح لم نعهده حتى في المدارس التحليلية المنشقة عن المدرسة التحليلية النفسية الأم، كمدرسة كارل غوستاف يوتغ، ومدرسة ألفرد أدلر، وغيرهما، إذ كان شائعا الإبقاء على المصطلحات الأساسية (كالليبيدو، والتحويل، والآليات الدفاعية، والدور

الكلاسيكي للمحلل أثناء الجلسات التحليلية وغيرها) وإنما تمت الاستقلالية على مستوى دلالات الألفاظ والمصطلحات نفسها فحسب.

بيد أن التحليل النفسي التفاعلي، قد جاءنا بمصطلح غير معهود في التوجه الكلاسيكي لتحليل النفسي وهو مصطلح العلائقي، وبمصطلح الذات والذات الآخر، وهو ما لم يكن وارداً في أدبيات التحليل النفسي التقليدي.

وبناءً عليه نطرح الإشكال التالي:

ما الذي يميز اتجاه التحليل النفسي التفاعلي من حيث أسس البناء والتطبيق على مستوى علم النفس التطبيقي؟

أسئلة البحث:

ما الذي يميز التحليل النفسي التفاعلي في مقابل التحليل النفسي الأورثودوكسي؟
هل تتميز المدرسة التحليلية النفسية التفاعلية عن المدرسة التحليلية الكلاسيكية من حيث التطور والامتداد، أم أنها مدرسة مخالفة تماماً لها؟
ما الذي قدمته مدرسة التحليل النفسي التفاعلي لمجال العلاج النفسي؟ وما الذي يميزها فيه؟

2. التحليل النفسي الكلاسيكي والتحليل النفسي العلائقي

1.2 التحليل النفسي الكلاسيكي

يشير مذهب التحليل النفسي الكلاسيكي إلى المذهب التحليلي النفسي الذي ابتكره سيغموند فرويد، وهو كما ذهب إلى ذلك لابلاش وبونتاليس في "معجم مصطلحات التحليل النفسي" أنه يتميز بثلاثة مستويات:

أ. فهو على الصعيد الأول طريقة في الاستقصاء تتلخص أساساً في تبيان المعنى اللاواعي لكلام وأفعال شخص ما، وكذلك معنى إنتاجه الخيالي (من أحلام وهوامات، وهذيانات). تقوم هذه الطريقة بشكل رئيسي على التدايعات الحرة للشخص، التي تشكل ضمانة صدق التأويل التحليلي النفسي ليشمل إنتاجات إنسانية لا تمتلك تداعيات حرة بصدها.

ب . وهو على الصعيد الثاني طريقة في العلاج النفسي تقوم على هذا الاستقصاء وتخصص بالتأويل المضبوط للمقاومة والنقلة والرغبة. ويرتبط بهذا المعنى استخدام "التحليل النفسي" كمرادف للعلاج "النفسي التحليلي"، من مثل الانخراط في تحليل نفسي (أو في تحليل).

ج. وهو على الصعيد الثالث مجمل النظريات النفسانية والنفسية المرضية التي تُنظم من خلالها المعطيات التي تقدمها الطريقة التحليلية في الاستقصاء والعلاج (بونتاليس، 1985، صفحة 165).

ويتألف التحليل النفسي الفرويدي من منظومتين متميزتين هما التحليل النفسي التقليدي والعلاج النفسي المبني على مبادئ التحليل النفسي. إذ ولدت المنظومة الأولى الأطر النظرية ووجهات النظر العامة ومارست التأثير الكبير في تطور الفكر البشري عموماً وفي حركة الفكر النفسي خصوصاً. أما المنظومة الثانية فقد أكدت نفسها بالممارسة العلمية الواسعة (ميخائيل، 2010، صفحة 99). بحيث تحول هذا المنظور الأخير إلى منهاج يقدم الإطار العلاجي العملي على عكس التوجه النظري السابق.

وقد ركزت مدرسة التحليل النفسي التقليدي باختصار على المنهاج الفردي في دراستها، أي الأخذ بعين الاعتبار التجربة الشخصية للمريض بغض النظر عن المحيط، إذ يسعى إلى سبر أغوار نفسية هذا الأخير، لا سيما اعتماداً على لاشعوره وآلياته الدفاعية، ونوعية صراعه النفسي على مستوى الجهاز النفسي (الأنا – الأنا الأعلى – الهوا).

وهو أيضاً ما يمكن تسميته بنموذج داخل النفس البحث ("علم نفس الشخص الواحد") (Berman، 1997، صفحة 186).

وقد كانت نقطة البدء عند فرويد هي العلاج الطبي، ولكن النظرية ما لبثت أن غمرت الميادين الأخرى، على اختلافها، فدخلت ميدان علم النفس العام، ثم علم نفس الأطفال، والبدائيين، وما لبثت أن اجتذبت أنظار علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا. بل والساسة

ورجال الحرب، فبدءوا يعلقون عليها آمالا كبيرة، ويقارنون ملاحظاتهم في حقول تجاربهم المختلفة بنتائج النظرية، ويهتمون بما يجدون مما يؤيدها أو يعارضها.

2.2 التحليل النفسي العلائقي

يعد هاري ستاك سوليفان (1892-1949)، من الأوائل الذين دافعوا عن فكرة العلاقات الشخصية في الطب النفسي، والذي كانت القاعدة التي بنى عليها نظريته في الشخصية، حيث نشر في عام 1953 "نظرية العلاقات الشخصية في الطب النفسي"؛ إذ بناءً عليها طوّر نموذج نظريته عن الشخصية، والذي كان مؤطر في نموذج التحليل النفسي. وبصورة أكثر تحديداً، يمكننا تصنيف سوليفان في مبدأ الحرية الجديدة، إلى جانب مؤلفين مثل كارل يونغ أو كارين هورني أو إريك فروم أو إريك إريكسون..

وقد دافع سوليفان عن مفهوم الطب النفسي الذي يجب أن يكون لهذا العلم ككائن لدراسة التفاعلات بين البشر. بهذه الطريقة سلط الضوء على الأهمية الأساسية للعلاقات الشخصية (سواء الحقيقية أو الخيالية) في تكوين الشخصية، وبالتالي أيضا في الأمراض النفسية (<https://ar.sainte-anastasia.org>)

ومع نشر موضوع "العلاقات في نظرية التحليل النفسي" بواسطة جاي جرينبيرج وستيفن ميتشل وكان الاثنان في ذلك الوقت حديثي التخرج من معهد ويليام ألانسون وايت، (...) أشارا إلى وجود اثنين من التقاليد الرئيسية في الفكر التحليلي النفسي، والتي عرفها على أنها محرك / هيكل وعلائقية / هيكل، أدت إلى ترسيمهم للخط الأخير الذي أدى في النهاية إلى ظهور اتجاه علائقي متعمد، تبلور في الكتاب الثاني لميتشل "المفاهيم العلائقية في التحليل النفسي"، ومحاولة دمج التقاليد المتنوعة للفكر السوليفاني للنموذج البريطاني للعلاقة بالموضوع، وعلم النفس الذاتي (Berman، 1997، صفحة 195)

بهذا يكون تيار التحليل النفسي العلائقي تيارا تحليليا نفسيا حديثا نشأ في الولايات المتحدة جاء يؤكد على دور وأهمية العلاقات الشخصية مع الآخرين، في حالي الاضطراب النفسي والعلاج النفسي، سواء تعلق الأمر بأشخاص حقيقيين أو وهميين. وبالنظر إلى زمن

تأسسه (ثمانينات القرن العشرين) يعد تياراً جديداً ومتطوراً نسبياً، وينظر إليه مؤسسوه أنه خطوة نوعية في مدرسة التحليل النفسي، من الفردانية إلى العلاقة الثنائية أو المتعددة الأقطاب، بحيث أن العلاقات مع الآخرين، وفقاً لهذا التيار، تعكس أهمية العلاقات في الحياة العقلية للأشخاص في زمني الصحة والمرض.

ويكون الهدف الذي يسعى له التحليل النفسي العلائقي إذن هو إدماج مفهوم العلاقات البينية (بين الذات وذات الآخر)، الذات التبادلية ليس كهدف تنموي أو تحليلي، مما يدل على الاعتراف الكامل بذات الآخر كذات متميزة (Berman، 1997، صفحة 198) إضافة إلى وجود الذات في علاقة مع الذات الأخرى، كل هذا يجعل التحليل النفسي العلائقي إضافة نوعية في الجانب العلائقي وإدماجه ضمن حقل التحليل النفسي.

3. البناء التفاعلي في التحليل النفسي العلائقي

فتح التحليل النفسي العلائقي مساحة مسموح بها للتحليل النفسي المقارن من خلال تحدي التقاليد المحصنة المتحجرة في العقيدة، مثل المفاهيم الأرثوذكسية للإطار الكلاسيكي، والحياد، والامتناع عن ممارسة الجنس، والمقاومة، والانتقال، والتحذير من الإفصاح عن الذات من قبل المحلل.

كما أن للمنظورات العلائقية تأثير عميق على الطريقة التي توصلنا إليها في تصور اللقاء العلاجي، وتحديد دور المحلل في التقنية والممارسة. لقد أوجد التحول العلائقي فسحة لخطاب صادق حول ما نفعله بالفعل، ونفكر فيه، ونشعر به في عملنا التحليلي، وبالتالي نكسر الصمت وسرية ما يحدث بالفعل في غرفة الاستشارات. المناهج العلائقية داعية من أجل طريقة أكثر طبيعية وإنسانية وحقيقية لكيفية إشراك المحلل للمريض بدلاً من تنمية موقف فكري بعيد أو منهجية إكلينيكية حيث يُعرف أحياناً أن المحلل يظهر على أنه آلة باردة أو ثابتة أو مطهرة أو بلا عاطفة. المحللون العلائقيون هم أكثر وضوحاً وتفاعلية ويميلون إلى الكشف عن حسابات خبرتهم الخاصة في الفضاء المهني (على سبيل المثال، في الجلسات والمنشورات والمؤتمرات العروض التقديمية)، لتجنيد واستمالة التصورات من المريض حول الذات

الخاصة بهم السلوك، والاعتراف بشكل عام بكيفية استجابة المريض وسلوكه يتم تشغيله من خلال المواقف المزعومة وحساسية وسلوك المحلل المباشر وتأملات صريحة حول ردود فعل التحويل المضاد، والمآزق العلاجي، ودور التأثير والحميمية وتجربة المريض للمحلل هي أفكار ثورية أعادت توجيه بوصلة التقدم العلاجي بعيداً عن الأهداف الموحدة لتفسير ورؤية ثاقبة للتركيز الشمولي السليم على التحليل النفسي كعملية.

لقد أدى التحول في العلاقات إلى إزاحة وجهات النظر المعرفية التقليدية للمحلل: السلطة والوصول المطلق إلى المعرفة، وكذلك المبادئ الموضوعية التي تمثل لهم منبع الراحة. من خلال الفحص الدقيق للتفاعلات الحوارية وبنى المعنى التي تظهر داخل غرفة الاستشارات، تبني التحليل النفسي العلائقي إلى حد كبير تقاليد ما بعد الحداثة للتشكيك في صحة الحقيقة المطلقة، كما راقب المعرفة واليقين الموضوعي والعلم الوضعي المعنى والبصيرة والأعراف... وفي بريطانيا احتمالية المشاركة الشخصية في الأحداث الاجتماعية، الخطاب الحوارية، الاتصال الهاتفي مع آخرين، التفاعل المتبادل، والتفاوض المتبادل، والإبداع الثنائي، والمؤلد بشكل متبادل الإنشاءات الراسخة في عملية بين الذات (...) (Mills، 2005، صفحة 156).

ويتضح لنا جلياً من خلال هذا العرض أن التحليل النفسي العلائقي أن الميزات التي يقدمها التحليل النفسي التفاعلي بين يدي المريض كمحتاج تفاعلي تتجاوز النظرة التقليدية لمفاهيم التحليل النفسي الأورثودوكسي، ونجمل هذه النقاط فيما يلي:

1. اعتماد منهج أكثر علائقية وإنسانية لإشراك المحلل للمريض
2. المحلل التفاعلي يتسم بأكثر وضوح وتفاعل وانكشاف مع المريض
3. التأملات المباشرة لردود فعل التحويل المضاد والمآزق العلاجي
4. التخلي عن فكرة دور السلطوية الذي يلعبه المحلل، والاتجاه إلى التفاعل الحوارية.
5. نفي فكرة الحقيقة المطلقة من خلال تبني أفكار ما بعد الحداثة.

6. إدماج المريض في النشاطات التفاعلية الخارجية.

4. المنهجية العلاجية للتحليل النفسي العلائقي :

تذهب "دو يونغ" إلى أن العلاج العلائقي يتمحور حول "العلاقة بالذات مع الآخر. هذه الذات مع الآخر التركيز فيها يعني ما إذا كان العميل يتحدث عن الأمس أو الماضي البعيد، بصفتك معالجاً علائقياً، فأنت تستمع إلى كل ما يحدث بينه وأشخاص آخرين في قصته. ترى تاريخ عميلك كعلاقة تاريخ. أنت تعمل مع مبدأ العلائقية على أننا جميعاً مخلوقات موجودة ضمن السياقات العائلية والاجتماعية والسياسية التي تشكلها دائماً تفاعلاتنا مع الآخرين، ومن خلال معرفتنا الداخلية لما يتوقعون منا وكيف سيستجيبون لنا". (DeYoung، 2015، صفحة 11)

بالنسبة لهذه الرؤية فإن العلاقة العلاجية ضمن السياق التحليلي العلائقي لا تتسم بالانفصال عن المريض، بل أنها تغوص في أغواره وتتسم بالبناء العلائقي معه ومع تاريخه المرضي، فالعلاقة العلاجية هي علاقة تفاعلية يكون المعالج فيها فاعلاً، له حضور، بعيداً عن النظرة الموضوعية التي رسمتها المدرسة التحليلية التقليدية.

وتظهر لنا درجة الانغماس في العلاقة الثنائية (محلل – مريض) في السياق العلاجي التفاعلي وفقاً لـ (De Young) كون الجانب العلائقي التفاعلي هو ليس معطى متواجد في تاريخ المريض فحسب، بل يعتبر عاملاً مشتركاً بين الجميع، وهو ما يجعل المحلل طرفاً تفاعلياً من هذا الوجه، تربطه علاقة تفاعلية مع المريض لذات هذا القاسم المشترك.

وتضيف "دو يونغ" قائلة: بصفتك معالجاً علائقياً، فأنت تعتقد أنه ما يحدث في نطاق جلسة العلاج يمكن أن يفهم على أنها قصة ذاتية مع الآخر. تقريباً كل تفاعل بينك وبين العميل يؤدي إلى نمط من أنماط التفاعل. قد تشعر عميلة ما، على سبيل المثال، أنها يجب أن تقول وتفعل أنواعاً معينة من الأشياء لجعل هذا العلاج "جيداً". لذا تحاول جاهدة طرح أحداث مهمة للحديث عنها، وتركز عليها مشاعرها الحقيقية، وتروي الأفكار التي اكتسبتها على مدار

الأسبوع. تشعر بمدى صعوبة عملها لإرضائك، وأنت لا تنكر أمامها ملاحظاتك الإيجابية، ولكن في الغالب تولي اهتمامًا وثيقًا لأي شيء، إنها تفكر وتشعر وهي تتحدث معك. شيئًا فشيئًا، استوعبت ذلك: ما تريده هو أن تفهمها، وليس أن تقوم بالعلاج "بشكل صحيح". كما لو إنها تختبر تعاطفك، حيث يبدأ الفهم يتبلور بوصفه أكثر أهمية لها من موافقتك... كل هذا عمل علائقي مهم، وإن لم تقم كلمة واحدة بالتعبير عنه بشكل مباشر". (DeYoung، 2015، صفحة 11)

ويظهر من هنا أن التحويل والتحويل المضاد الذي يُعد أحد أعمدة الممارسة التحليلية النفسية الفرويدية، والذي يُعتمد كآلية لحفظ الموضوعية في العلاقة العلاجية وضد الذاتية التي من الممكن أن تؤثر في مسار العمل التحليلي العلاجي، من غير الممكن أن يؤدي دورا ذا أهمية في العلاج التحليلي النفسي العلائقي الذي يُشير إلى دور المحلل، وضرورة تفهمه للعواطف والمواقف الانفعالية – التفاعلية الصادرة من المفحوص، بل أن تفهمها واعتبارها أحد جسور التفاعل بين المحلل والمريض هو من الأسس التفاعلية التي تضمن فعالية علاجية. وهو ما يؤدي بالمثل إلى تدني ظهور المقاومة كما في جلسات التحليل النفسي الكلاسيكي، والتي تعرف على أنها "كل ما يحول من أفعال المحلل وأقواله دون نفاذه إلى لاوعيه" (بونتاليس، 1985، صفحة 486) ذلك أن العلاقة التفاعلية بين المحلل والمريض تبدي الجانب الإنساني الذاتي أكثر من إظهار الجانب التحليلي العلمي الموضوعي المحض، وهو ما يخلي الطريق سالكا بين طرفي العلاقة التحليلية العلاجية في الإطار العلائقي.

وقد يفهم هذا التوجه العلاجي من خلال الأطر النظرية التي انبنى عليها التوجه التحليلي النفسي العلائقي، ونجد هذا فيما ذهب إليه «Mills» من استشهادات حيث يقول: (تبني التحول العلائقي إلى حد كبير نظرية المعرفة البنائية ومنهج التفسير، ما يشير إليه هوفمان (1998) بالبنائية "النقدية" أو "الديالكتيكية" على أساس "التأثير المتبادل والمعنى المركب" في المواجهة التحليلية. يشير العديد من المؤلفين الترابطين بشكل عام إلى الخبرة الحساسة "التي يتم تكوينها بشكل مشترك" إلى العناصر المشتقة سياقيًا من اللقاء بين الأشخاص

الخاضعين لكل منها منظور الشخص الفريد وتفسيره ولكن تم تشكيله في النهاية من خلال التفاوض المتبادل وهذا يعني أنه عرضة دائماً لنظرية المعرفة المعصومة (أورانج، 1995). مثلاً يضعها Stolorow (1998)، "المحلل ليس لديه امتياز الوصول" إلى عقل المريض أو ما يحدث حقاً بين المحلل والمحلل، لأن "الواقع الموضوعي غير معروف بواسطة طريقة التحليل النفسي بالاعتماد على مثالية كانت، وفقاً لأنه لا يمكن أن يكون لدينا معرفة حقيقية بالأشياء في حد ذاتها، هذه المعرفة المعرفية يتم جمع المواقف إلى حد كبير من حساسيات ما بعد الحداثة التي تندرج بشكل فضفاض تحت مظلة لما يمكن أن نطلق عليه، وليس بشكل غير لائق، تأويلات التحليل النفسي: وهي طرق التفسير المستمدة من التجربة الذاتية والمشاركة فيها بالعلاقات الاجتماعية التي تشكل المعنى والمعرفة). (Mills، 2005، الصفحات 156-162)

5. بعض خصائص العلاج التحليلي النفسي العلائقي:

يمكن إدراج الخصائص والميزات العلاجية للعلاج التحليلي العلائقي فيما يلي:

1. **الافردانية:** بصفتك معالجاً علائقياً، فأنت لا تتولى وظيفة "المثبت". أنت أيضاً ترفض رؤية عملائك ككائنات قائمة بذاتها وفردية تحتاج إلى إصلاح. أنت تقوم بهذا الرفض في كل مرة تحاول فيها معرفة ما حدث بين العميل وشخص آخر ترك العميل يشعر بالسوء. أنت تقوم بذلك الرفض عندما تنغمس في عالم خبرة عميلك وعندما تقر بأن سلوكك الخاص يمكن أن يكون له تأثير عميق على رفاهية عميلك.
2. **اللاعقلانية:** فالعلاج يدور حول الدخول في المشاعر وبعد ذلك فهمها بعقلانية.
3. **ليست علاجاً فرويدياً:** كان سيغموند فرويد الطبيب الذي اخترع العلاج بالكلام كعلاج المرض العقلي، وتأثيره على ماهية الأطباء وعامة الناس فهم أن العملية

العلاجية تظل عميقة وقوية، حتى بين من يختلف مع موقفه. في رأي فرويد والكلاسيكيون، لا توجد علاقة علاجية حقيقية إلى جانب العلاقة الرسمية طبيب - مريض (حيث يُطلق على امثال المريض اسم "علاج التحالف"). المشاعر التي تنشأ في المريض تجاه المعالج هي نقل المريض على المعالج لمشاعر المريض السابقة تجاه شخص آخر. قد يثير هذا بعض مشاعر التحويل المضاد داخل المعالج، الذي يتعرف عليه المعالج ويضعه جانباً لفهمه وتفسير مادة المريض بشكل صحيح. كما لاحظنا، فإن يُنظر إلى مادة أحلام المريض وشعوره وخياله على أنها نتاج اللاوعي غير العقلاني. تشمل "المواد" التحويل، الذي يصبح عرضاً مهماً جداً لمرض المريض، يتم عرضه على الفراغ شاشة للوجود المحايد للمعالج.

4. أما بصفتك معالجاً علائقيًا، لن تحاول الكشف عن مريضة ومعالجتها داخلياً، بدلاً من ذلك، ستحاول جاهدة أن تفهم معها كيف يعمل عالمها العلائقي. وهكذا، في عملكما معاً، سوف تركزون أولاً وقبل كل شيء في الحاضر وليس على الماضي، وليس على المكبوت وبشكل خاص المشاعر، ولكن كيف تجعل جين منطقية وأماناً لنفسها في العالم. بصفتك معالجاً علائقيًا، ستقول للمريضة بطريقة أو بأخرى: "أنتِ تحققين أفضل ما في وسعك... أنتِ تعملين على حماية نفسك بأفضل ما يمكنك في عالم شخصي خطير. هذا ليس مرضاً، ولكنه علامة على صحة الناجين (DeYoung، 2015، الصفحات 15-18).

5. نقد الاتجاه التحليلي النفسي العلائقي:

من خلال العرض الذي سبق يمكن القول أن التحليل النفسي العلائقي قد قدم خصائص نظرية وتطبيقية في ميدان علم النفس العيادي تجعله ذو مكانة في هذا الحقل المعرفي، غير أنه لا يخلو من محتويات ومآخذ، ومن ذلك:

1. أن التحليلي النفسي التفاعلي بنسبته إلى مدرسة التحليل النفسي قد تجاوز الممارسة النفسية التحليلية الفرويدية، بل وحتى المدارس المنشقة عنها لتلاميذ أو زملاء فرويد نفسه، ونكون هنا أمام تناقض واضح بين دعوى النسبة إلى مدرسة التحليل النفسي والخروج عن أسس هذه المدرسة ومذهبها النظري والعلاجي بشكل واضح. وهو ما تمت الإشارة إليه في باب المقاومة كما أورده "لابلانز وبونتاليس": "ولقد تحدث فرويد كامتداد لهذا عن مقاومة مذهب التحليل النفسي للدلالة على ذلك الموقف المعارض لاكتشافاته باعتبار تكتشف الرغبات اللاواعية وتصيب الإنسان "بتكدير نفساني". (بونتاليس، 1985، صفحة 186)

2. التحويل والتحويل المضاد للذات يعتبران أحد النقاط الواجب أخذها في الحسبان في التحليل النفسي الأورثودوكسي، والذاتان بهما تُحمى العلاقة العلاجية التحليلية من الانحراف وتحافظ على الموضوعية، قد تم تغافلها، بل واعتبارهما مما يعيق الجانب التفاعلي في التحليلي النفسي التفاعلي، قد ينسف أيضا النسبة إلى مدرسة التحليل النفسي ابتداءً.

3. المبالغة في اعتبار والأخذ بعين الاعتبار الانفتاح في العلاقة بين المحلل والمريض تحت اعتبار العلاقة التفاعلية بينهما بوصفها أساس بناء التحليل النفسي التفاعلي ترفع من نسبة الذاتية في مقابل الموضوعية، ولا ترسم حدودا واضحة في الغالب بين الذات والآخر، مما يرفع احتمالات أن تخرج العلاقة العلاجية عن إطارها الموضوعي إلى الجانب الذاتي، وبالتالي ترفع احتمالية فشل الجانب العلاجي، أو على الأقل تخرجه عن المسار التحليلي النفسي وتدخله في مجال نظري وعلاجي مغاير تماما للمدرسة التحليلية الكلاسيكية من حيث المبدأ.

4. طغيان جانب الأمركة (النمط الأمريكي)، واللغة البراغمية على العلاج التحليلي النفسي العلائقي عن الإطار المفاهيمي التحليلي.

5. اقتراب المنهج التحليلي النفسي العلائقي من الكوتشينغ (المدرّب الخاص) منه إلى التحليل النفسي كمذهب سيكولوجي تحليلي، إذ أن القرب الانفعالي التفاعلي بين المحلل والمريض على حسب هذا التوجه يكاد يكون علاقة إنسانية عميقة منه علاقة علاجية موضوعية، وهذا الذي نجده في الكوتشينغ على النقيض من مختلف مدارس التحليل النفسي السابقة.

6. خاتمة:

من خلال عرضنا هذا لمدرسة التحليل النفسي العلائقي والتي قدمت لنا عملاً، نظرياً وتطبيقياً، ثورياً على مستوى النظرة التحليلية النفسية التي أخذت بعين الاعتبار لا ذات المريض كموضوع للتحليل فحسب، وإنما الذات وذات الآخر أيضاً، باعتبار العلاقة العلاجية هي علاقة تفاعلية لا ينتفي فيها تفاعل الذاتين معاً بل يكون أمراً ضرورياً في إنتاج علاقة علاجية ناجحة، تؤدي بالضرورة إلى النتيجة العلاجية المرجوة بتخليص المريض من معاناته باعتباره في علاقة مساندة مع ذات أخرى في ذات المحلل، وفيها أيضاً يؤخذ بعين الاعتبار تاريخ المريض والذوات التي يحتويها هذا التاريخ. غير أن الخطوات التي قامت عليها المدرسة التحليلية النفسية التفاعلية قد نسفت العديد من الأسس التي قامت عليها المدرسة التحليلية التقليدية والمدارس المتفرعة عنها، وهذا ما يجعل انتمائها إلى المدرسة التحليلية محل استفهام، بل أن إظهار الابتعاد عن المنهج الفرويدي بوضوح يجعل من المدرسة التحليلية النفسية التفاعلية مدرسة مستقلة من الجانب الفعلي وإن كان المسمى يوحي بجعلها في مصاف المدرسة التحليلية النفسية، إذ لا تعدّ لا امتداداً ولا تطوراً فعلياً للمدرسة الكلاسيكية، بل أنها مدرسة حديثة لها أسسها وآليات علاجها، وحتى مآخذها التي تؤذن باستقلاليتها الفعلية، وتميزها أيضاً.

7. قائمة المراجع:

1. أسعد، ميخائيل، 2010، دليل العلاج النفسي، الطبعة الأولى، لبنان، كتابنا للنشر.

2. حجازي، مصطفى، 1982، *الفحص النفسي، مبادئ الممارسة النفسية*، الطبعة الثانية، دار الطباعة، بيروت، لبنان.
3. لا بلانش، جان. بانتاليس، ج.ب، 1985، *معجم مصطلحات التحليل النفسي*، ت: مصطفى حجازي، الطبعة الأولى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
4. Aaron, L. Haris, 2012, A. *Relational psychoanalysis, Expansion of theory*, V04, Routledge, New York/ London.
5. Berman, Emanuel, 1997, *Relational psychoanalysis, A historical background*, AMERICAN JOURNAL OF PSYCHOTHERAPY, Vol. 51, No. 2, Spring
6. DeYoung, Patricia A. 2015, *Relational Psychotherapy*, Second edition published, by Routledge, 711 Third Avenue, New York
7. Farnsworth, John, 2020, *Relational psychoanalysis and clinical practice*. Ata: *Journal of Psychotherapy Aotearoa New Zealand*, 24(1), 11-27. <https://doi.org/10.9791/ajpanz..02>.
8. Mills, Jon, 2005, *A Critique of Relational Psychoanalysis, educational Publishing Foundation*, in *Psychoanalytic Psychology* ♦ March, Vol. 22, No. 2, 155-188.
9. Slavin, Malcolm Owen, 2016, *Relational Psychoanalysis and the Tragic-Existential Aspect of the Human Condition*, *Psychoanalytic Dialogues*, 26:537-548, Copyright © Taylor & Francis Group, LLC, ISSN: 1048-1885 print /1940-9222 online. DOI: 10.1080/10481885.2016.1214465